Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences

E-ISSN 2663-5836
P-ISSN 1999-5601
Original Research

Journal homepage: https://lark.uowasit.edu.iq

Vol. 18 No2. April 2026, pp.٢٨٩-٢٩٨

https://doi.org/10.3١١٨٥/lark.٥١٤٦

Representations of the West in the Historiography of the 7th Century AH (13th Century AD).

Lect. Jalila Faisal Barghash Al-Mayahi

University of Wasit - College of Education for Humanities - Department of History - Islamic History - Islamic Civilization

jalbadrawi@uowasit.edu.iq

Received Nov ٩ ,202٥ Revised Feb11, 202٦ Accepted Mar 8, 2026 Online April.1, 2026

ABSTRACT

This study sheds light on the West from various perspectives as presented in the works of 7th-century AH/13th-century CE historians. These historians undertook the task of examining the most important events and developments in Western countries, driven by a desire to understand the West. The study aims to clarify the historical geography of the West. Some historians presented a picture of the geography of the Byzantine Empire and the Slavic lands, describing their mountains, topography, climate, and important islands and gulfs. Furthermore, many historians, in their studies of the West, offered insights into the main motivations that led them to study the West and investigate its facts, thereby clarifying the West's image for readers. Some of these motives stemmed from a personal desire to learn about other cultures and obtain documented information that could be considered official records. Other motives were social, aiming to illustrate the social realities of Western countries, including customs, traditions, and the ceremonies of kings and sultans during holidays and special occasions. Economic motives drove historians to study the economic realities of Western countries, while political and military motives enabled historians of the 7th century AH/13th century CE to provide a concise overview of the West.

Keywords: West, Franks, Constantinople, Caspian Sea, Byzantine Empire

صورة الغرب في كتابات مؤرخي القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي

المدرس جليله فيصل برغش المياحي

جامعة واسط - كلية التربية للعلوم الانسانية- قسم التاريخ- تاريخ اسلامي- حضارة اسلامية

jalbadrawi@uowasit.edu.iq

الملخص

تناولت الدراسة تسليط الضوء على بلاد الغرب من نواحي متعددة وردت في مصنفات مؤرخي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، بعد أن اخذ مؤرخو العصر على عاتقهم الاطلاع على اهم الحوادث ومجريات بلدان الغرب رغبة لمعرفة الآخر، وتمخضت الدراسة لبيان مفهوم الجغرافية التاريخية للغرب قدم بعض المؤرخين صورة عن جغرافية بلاد الروم، وبلاد الصقالبة مستعرضين في كتاباتهم جبالها، تضاريسها، مناخها فضلاً عن اهم الجزر والخلجان ، ومن المتتبع لدراسة بلاد الغرب أن الكثير من المؤرخين قدَّم صورة تخص اهم البواعث التي دفعتهم لدراسة الآخر وتقصي الحقائق لتوضيح صورة الغرب الآخر للقارئ ، وجاءت بعض هذه الدوافع منها رغبة شخصية من اجل الاطلاع على ثقافة الآخر والحصول على معلومات موثقة تعد وثائق رسمية يأخذ لها بالحسبان، وبعض الدوافع جاءت اجتماعية لبيان الواقع الاجتماعي لبلاد الغرب من عادات، وتقاليد وفيما يخص مراسيم الملوك والسلاطين ايام الأعياد والمناسبات، وبعض الدوافع اقتصادية دفعت بالمؤرخين لدراسة الواقع الاقتصادي لبلاد الغرب، ومنها دوافع سياسية وعسكرية استطاع مؤرخو القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي تقديم صورة موجزة عن الغرب الآخر.

الكلمات المفتاحية: الغرب، الافرنج، القسطنطينية ، بحر الخزر، بلاد الروم

This work is licensed under a Creative Commons Attribution License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) that allows others to share and adapt the material for any purpose (even commercially), in any medium with an acknowledgement of the work's authorship and initial publication in this journal.

المقدمة ..

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد ابن عبد الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد

إن دراسة الاستغراب ، او بالأحرى الغرب الآخر عند مؤرخي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي في غاية الأهمية بعد ان تولدت لديهم الرغبة الشخصية لدراسة الآخر، فضلاً عن الشعور بالمسؤولية لفهم الأمم والاطلاع على ثقافتها بعد أن كادت الساحة العربية تخلو من ثقافات الأمم الأخرى الغرب الآخر ، ومن الجدير بالذكر أنه لم ينل مصطلح الاستغراب تلك العناية التي يستحقها ،بعد ان ظل جانب معرفة الأمم الأخرى قاصراً على جمع يسير من المفكرين وممن تولدت لديهم الرغبة في توسيع أفاقهم المعرفية وما زال الحديث جارياً في أسباب دراسة الاستغراب عند مؤرخي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وجاءت دوافع متنوعة أهمها الدوافع الدينية ظهرت بوادر عمل المؤرخين فيما معرفة المركز الروحي للمسيحية المقر الرئيسي للبابا كما برز دور ابن الأثير، وياقوت الحموي في الحديث عن الرموز الدينية لبلاد الروم واستشهدوا برواياتهم التاريخية بأقوال للنبي محمد (صلى الله عليه وآلة وسلّم)،كذلك من محفزات التي دفعت مؤرخي العصر في دراسة الأمم الأخرى(الغرب) دوافع متنوعة منها الدوافع الاقتصادية، والاجتماعية ، والعسكرية الهدف الأسمى من ورائها لفهم صورة "الأستغراب" .

المبحث الأول : (الغرب لغة واصطلاحاً)

الغرب: معناه الغربة والاغتراب ؛ إذ يشير المعنى اغترب أي غريب وغُربَ بضمتين والجمع الغرباء ،والغرباء تعني الأباعد(ابن الأثير،٢٠٠٠، ج٣، ص.١٠٦)

والمدلول الآخر للغرب ؛ إذ يقال اغترب فلان أي تزوج إلى غير أقرابه كما جاء بالقول المأثور تزوجوا الغرائب دون القرائب(الزمخشري، ١٩٩٦، ج٢، ص.٢٩٣)

وهناك وصف آخر ورد للغرب عند بعض المؤرخين المسلمين هو تصور شائع زاد من دلالتها للتعبير عن الافتنان بالغرب، ويعني به التغريب أي النفي عن البلد وأُغرب جاء بشيء غريب أي صار غريباً، كما هو المعنى المراد بأسود غربيب بوزن قنديل أي شديد السواد؛ فإذا قلت غرابيب سود كان السواد بدلاً من غرابيب؛ لأن توكيد الألوان لا يتقدم (القرطبي،١٩٦٤، ج١٤، ص. ٣٤٣) ، والمدلول الشائع عند أقوام العرب يعني غرب السهم في فؤاده ثقب السهم قلبه، واخترقه وغرب السهم بهذا المعنى ، وغرب بالتشديد أي ذهب ناحية الغرب سقط وهلك ،كما جاء بقول غربت الشمس وغرب الدعاء فسرت باعد الصوت في ديوان الهذليين (ابن العديم، ،ج٧، ١٩٥١، ص. ٣٣٦٨) وعن عبد الله بن مسعود في حديث للنبي محمد (ص) قال: **"بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء"(ابن حنبل، ٢٠٠٦، ج١، ص. ٣٩٨)(البخاري، ٢٠١٢، ج٣،ص. ٣٣٩)**

وفي الحديث النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال: **"أمر بتغريب الزاني سنة إذا لم يحصن نفسه نفيه عن بلد الذي وقعت فيه الجناية"**،(حنفي، ١٩٩١، ص ٢٧)

الغرب اصطلاحاً: ان المعنى الاصطلاحي الذي طرأ على لفظ الاستغراب بعيد كل البعد عن المعنى اللغوي والأصلي، بيد أنه لا مانع من الاجتهاد في هذا المجال ما دامت قواعد علمي الصرف والاشتقاق تسمح بذلك، وعلى هذا الاساس تمت الصياغة الاصطلاحية المعاصرة لهذه الكلمة ، وتناقلتها اقلام بعض الباحثين لذا ينبغي القول: إن لفظة "الأستغراب "مأخوذة من كلمة "غرب"، ويعني غروب الشمس (سمايلوفيتش،١٩٩٨ص. ٣٧)،فضلاً على ذلك والاستغراب هنا يعني به الوجه الآخر المقابل للغرب بل النقيض من" الأستشراق (حنفي،١٩٩١، ص.٢٩)

وفي السياق نفسه أن دراسة المدلول الجغرافي عند مؤرخي القرن السابع الهجري نلتمسه من رواية أبن العديم(ت٦٦٠هـ/١٢٦٢م)،مبيناً ذلك أن الغرب الآخر مقابل الشرق او بالأحرى البلاد الواقعة ضمن الجهة الغربية من بلاد الإفرنج كما استرسل في الحديث عن الغرب مشيراً الى أن الاتجاه الجغرافي والمكاني هو الذي يقابل الشرق (ابن العديم،١٩٩٦،ج٢،ص.٦٢٢)

أما المدلول الاصطلاحي للاستغراب فيمثل ظاهرة ذاتية نفسية واجتماعية يقوم بها من يميل للغرب ويحاكيه(عبد الله شارف، ٢٠٠٣، ص.٣١)، ومن زاوية أخرى أن الاستغراب قادر على إعطاء نماذج متنوعة، ويستشهد ذلك من الكتابات الإسلامية لمؤرخي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي(الحموي، ١٩٩٥م،ج١،ص.٧٣)

و جاءت دراسة ابن العبري لدراسة أحول ملوك القسطنطينية والبطارقة (الإفرنج) ،والرعايا والكتاب ،وأصبحت الممالك يونانية والسبب من وراء ذلك بلغ أن أحد ملك بلاد اليونان أصيب بمرض عضال عهد بزمام الأمور الى احد وزرائه المقربين إليه وهو يوناني الأصل، جلس على العرش وأصبحت جميع بلاد القسطنطينية يونانية(ابن العبري،١٩٨٣، ص. ١٠٨) (حسب الله ، ٢٠١٧، ص.٨٥)

(المبحث الثاني)

الجغرافية التاريخية لبلدان الغرب في كتابات مؤرخي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي

نظراً لطبيعة الموضوع الذي يتعلق بدراسة الجغرافية التاريخية للغرب في كتابات مؤرخي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي تمخض في وصفهم للظواهر المكانية ،وربطها بالأحداث التاريخية لرصد الحدود والمناطق، والبلدان التي عرفت عند المؤرخين والجغرافيين "بلفظ الغرب" ومن هذا الباب، جاءت عناية المشتغلين بالعلوم ،والفنون، والتأريخ والجغرافية لدراسة الغرب الآخر أن أغلب مصنفاتهم اتسمت بالموسوعية فضلاً عن تتبع الروايات التاريخية في كتاباتهم ، من أجل بيان صورة الغرب ودراسة بيئتهم الجغرافية ، ومما تقدم أشارابن الأثير(ت٦٣٠هـ)، الى أن "لفظ الغرب" ورد في مصنفاته بمدلولات متنوعة اوربا ، الإفرنج ،الحروب الصليبية، اليونان، بلاد الخز (ابن الأثير، ج١٠، ٢٠٠٠، ص. ١٠٧)

وبصدد الحديث عن جغرافية بلاد الغرب تحدث ابن العبري واصفاً "بحر المغرب" الواقع ما بين طنجة حتى بلاد الشام من جهة المشرق اتجاه تخوم بلاد اليونان ومما تقدم يظهر ان المؤرخ وصف البحر الرومي وصفاً جغرافيّاً ومكانيّاً دقيقاً لبيان صورة الغرب في مصنفه(ابن العبري،١٩٨٣، ص.١٠٨)

واورد القلقشندي مبيناً الامتداد المكاني من بلاد الغرب حتى بلاد الشرق من جهة سواحل الإفرنج واصفا البلاد بقوله :"هناك جهتان من شمالي بحر الروم يمتد غرباً الى بحر المحيط الغربي، مما يلي شمالي بحر نيطش المعروف ببحر القرم"، كما عرفه ضمن دراسته للممالك، والبلدان مبيناً أنه ذلك البحر الذي يقع ضمن جهة شمال شرقي بلدان الغرب مشيراً الى ان بحر نيطش هو أحد أهم البحار الأوراسية وتطل عليه جبال الجركس (القلقشندي،ج٥ ، ٢٠٠٦، ص. ٣٥٠)

وتماشياً مع ما تم ذكره ينبغي الإشارة لموقع البحر الأسود ضمن الإطار الجغرافي والمعروف "ببحر سوداق"(القلقشندي،ج٥، ٢٠٠٦، ص. ٣٦٠)، واستناداً إلى ما تقدم ذكره عرفه ابن بطوطة "ببحر القرم المتصل بالبحر الأرميني مشيراً إلى بعض مواقع بلاد ارمينية وعند الأقاليم الشمالية وحدودها الجغرافية ، الواقعة اقصى بلاد المشرق الشمالية ،تجاورها من جهة الشمال بلاد الخزر، ومن الجنوب تحدها بلاد الجزيرة، وأذربيجان ،أما من جهة الغرب فتجاورها بلاد الروم وأرمينية من البلدان الجبلية الباردة اشتهرت بمدنها مثل ارزن، وبدليس ،وفيها البحر الأسود المتصل ببحر الروم من جهاته الشمالية ويسمى "بحر الروس"(ابن بطوطة ،١٩٦٨ ، ص.٣١٨)

نظراً لكثرة الجزائر فيه ،والخلجان ،تسكنها امم سميت "بلدان الروس" ،وتابع المؤرخ "ذكر مدينة أرمينية وصفها وصفاً جغرافيّاً" ،دليل على مدى اطلاعه على مناخ البلاد وتضاريسها ،وخلجانها الأمر الذي جعلت روايته مصدراً من المصادر الجغرافية المهمة التي أغنت المكتبات الإسلامية سلامية بالمعرفة ، ولاريب في ان رقعة البلاد التي حكمها السلاطين في العصور الوسطى قد اختلفت باختلاف الأزمنة والأحوال ،فقد تضاءل شأن الروم ونشأت مملكة ارمينية الصغرى النصرانية (لسترنج، ١٩٠٥، ص.١٧٤) (القلقشندي، ،ج٣ ، ٢٠٠٦، ص.٢٤٧ ؛ وينظر : الأمين، ج٦ ، ٢٠٠٢، ص. ٢٧١)

وفي ضوء ما تقدم تحدث ابن الأثير عن "بلاد البرجان" بقوله: وهي من المناطق التابعة لبلاد القوقاز التي تقع بالقرب من بحر الخزر أي ما بين بلاد اللان ، وأذربيجان باعتبارهم من الأمم التي تسكن الجبال الوعرة، كما وصف طبيعتها الجغرافية التي جعلت السيطرة عليها أمراً في غاية الصعوبة نتيجة مناطقها الجبلية الوعرة، وتساقط الثلوج فيها، وصعوبة المناخ دليل بالغ على مدى أهميتها الجغرافية باعتبارها من المواقع الحدودية التي تقع على الساحلي الشرقي وكانت تعرف قديماً بلاد "اللان" (ابن الأثير، ٢٠٠٠، ج١، ص.٤٠ ؛ وينظر: ابن أبي الحديد ، ١٩٨٧، ج٨، ص. ٢٣٣)

ومن هذا المنطلق أشار ياقوت الحموي في مصنفه "معجم البلدان " الى ان "بلاد الصقالبة" تقع بلادهم فيما يلي بلاد القسطنطينية ،والبلغار، مشيراً الى أن سكانها جيل حمر الالوان ،وصهب الشعور بلدانهم متاخمة لبلاد الخزر في أعالي جبال بلاد الروم بطبيعة الحال أن هذه البلدان تقع ضمن الإطارين الإقليمين السادس والسابع من الأقاليم السبعة (الحموي، ج١، ٢٩٩٣ ، ص.٢٥)

وتطرق ابن خلكان بصدد الحديث عن بلدان الغرب مسلطاً الضوء على بلاد اللاتين واصفاً أياها من المناطق المسيحية تراد بها القوى اللاتينية ،والإفرنجية المتجهة صوب بلاد المشرق عبر الحملات الصليبية مشيراً الى بعض الصراعات المتعقلة بالحروب الصليبية (ابن خلكان ، ج٥ ،١٩٤٩، ص.٣٥٥)

وأشار الى دراسة بعض بلدان اقصى الغرب واصفاً أقاليمها الغربية وخلجانها ، وتطرق في ذكر البحر الغربي الذي يفصل بين بلاد الإسلام، وبلاد الروم المشهور "بالبحر الغربي" ويعرف اليوم "بالبحر الأطلسي" والمناطق الغربية الشمالية المتاخمة له (ابن خلكان،ج١ ،١٩٤٩ ، ص.١٦)

وتطرق بعض المؤرخين في رواياتهم "بلاد سيس" التي تمتد من طرطوس إلى البحر الرومي وتمتد حدودها حتى بلاد الغرب المطلة على ساحل البحر الرومي

(الحموي، ج١، ١٩٩٣، ص. ٢١٦؛ ينظر: القلقشندي، ج٤ ، ٢٠٠٦، ص. ٧٨)

وعليه أن مملكتي البندقية، و جنوة تقعان ضمن الحزام الشمالي لبحر الروم من جهة المملكة القسطنطينية وتدعى "بوزنطيا" ،وموقعها في الإقليم السادس من الأقاليم السبعة وهي قاعدة الروم،(القلقشندي، ج١ ، ٢٠٠٦ ، ص. ٤٤)

كما بين الحموي في حديثه عن جزيرة إقريطش التي اشتهرت "بجزيرة كريت" ،موضحاً جغرافية المنطقة وامتدادها إلى البحر الفاصل بين بلاد الإسلام، وبلاد الروم والمعروف (بالبحر الغربي)(الحموي ، ج١، ١٩٩٣، ص. ٢٣٦)

اما ارمينية كما عرفها المؤرخون الغرب وجغرافيهم فتعد قسماً من آسيا الغربية العظمى، ويتكون اقليم ارمينية من وحدة جغرافية ذات طبيعة خاصة تميزه عن غيره من البلاد ،إذ شغلت موقعاً استراتيجيّاً بين المشرق والمغرب ،إذ تقع بين البحر الأسود وبحر قزوين ،وجورجيا، ويفصل بين ارمينية عن القوقاز وادي عرف "بنهر الكر" الذي تجتمع فيه مياه ارمينية الشمالية والشرقية (الحموي، ج١ ،١٩٩٣،ص.١٩٨؛ ينظر : السيد اديب ، ١٩٧٢، ص٢٥.)

(المبحث الثالث)

دوافع الأستغراب في كتابات مؤرخي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي:

اولاً/ الدافع الديني :

ومن هذا المنطلق أن دراسة الاستغراب الديني السائد في الغرب متمثلاً بالنصرانية، واليهودية كما صرح الحموي بهذا الشأن أحد اهم معالم الغرب ألا وهي "مدينة رومية " عاصمة بلاد الروم الغربية ، و مركزها الديني، والحضاري إزاء العالم المسيحي، ومن باب الطرح يمكن أن تكون المدينة مجالاً رحباً لدراسة الاستغراب عند مؤرخي القرن السابع الهجري ،وهي واحدة من المدن التي تعود لأقوام مسيحية في عاداتها وتقاليدها ،وعدت من المدن الجغرافية المهمة ،ومركزاً دينيّاً يقابل الغرب الآخر، وينبغي أن يكون في دراسة هذه الموضوعات أهمية كبيرة تبحث بمنظور علمي وديني كما جاء بقوله تعالى :(**قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا**) (سورة آل عمران ، آية ٦٤) وبصدد الحديث توالت على رومية الإشارات من قبل المؤرخين بدوافع دينية استغرابية ،وتبعه في ذلك نظرة المسلمين اتجاه القضايا السائدة في الغرب ،وفي ظل التراث الإسلامي أصبحت المدينة مقراً لرجال الدين النصارى ،ومهوى أفئدة الحجاج المسيحين ،وجاء وصف الحموي لها ضمن نطاق الإطار الديني من باب التبجيل ،والتقديس مما جعلها في نظر الشرق رمزاً دينيّاً للغرب لا يستهان به ،وأشار الحموي بهذا الصدد الى ان الدافع الديني لهذه المدينة الأمر الذي جعلها مركزاً للسلطة في العالم النصراني ومن اشهر مدن إيطاليا في العصور الوسطى (الحموي، ١٩٩٣،ج٤، ص ١٩)،وفي السياق نفسه أراد المؤرخ بيان أهمية المدينة دينيّاً باعتبارها مركزاً دينيّاً للنصارى ،وقبلة الحجاج النصارى وأستشهد في حديثه بقول النبي محمد (صلى الله عليه وألـه وسلم) "لتفتحن القسطنطينية ورومية"(الحموي،ج٤، ١٩٩٣، ص. ١٩)

ومن المأخذ على قدسيتها ظلت مركزاً لمملكة بلاد الروم ومدينة البابا ؛ إذ اجتمعت بين يديه رياسة الدين المسيحي بأجمعها ، مما جعلها محط اطماع ملك الكرج وفي المقابل ذلك أعلنت المدينة انفصالها عن كنيسة القسطنطينية هذا من جهة، واعتبارها مركز القيادة الدينية من جهة أخرى في حين أن بلاد الكرج استمرت في تبعية الكنيسة القسطنطينية، فإذا تحققت أطماع ملك الكرج بالسيطرة عليها وضمها الى سلطانه ، الأمر الذي يساعده كثيراً على ارغام بلاد الأرمن وضمها إلى حاضرته ،وبهذا التكتيك تزول الخلافات التي كانت وماتزال تحول دون تفاهم اباطرة الروم مع الشعب الأرميني وقادته وملوكه (اديب السيد، ١٩٧٢،ص.١٤٧)

و ينبغي ان ننوه باقتباس بعض الشيء ما جاء به سيد البلغاء امير المؤمنين علي (عليه السلام) في وصاياه الأخيرة لأبنائه وأصحابه فيما يتعلق بتنظيم البلاد ومراعاة العباد بقوله **:"أوصيكما وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم"**(الشريف الرضي، ١٩٦٧، ص٤٧) ، فكان (عليه السلام) يحدد المهام ويهتم بأمور العباد، وقوة التنسيق في جميع الأمور ، مما انتج دولة قوية وقفت بوجه التحديات التي عصفت بها (مصطاف،٢٠٢٥، ص. ١٥)

استناداً إلى ما تقدم ذكره وردت إشاره من ابن الأثير الى ان بلاد الروم ،ومركزها الروحي اراد العمل بربطهما معاً في معترك الصراعات الإسلامية في ظل الإمبراطورية البيزنطية، واصفاً إياها "دار ملوك بلاد الروم" مما يعكس خطاب ابن الأثير "لفظ الاستغراب" من دراسته الوجه الآخر "للغرب" دينيّاً وحضارياً، لا ينبغي أن يغرب عن بالنا الدوافع الأخرى التي جعلت الأرمن يرتمون بأحضان المسلمين ورفضوا السيادة البيزنطية والسبب يعود إلى ذلك عجز بيزنطة عن حماية الارمن في مواجهة حملات المسلمين، إذ انهم تركوا الارمن يواجهون المارد العربي وجهاً لوجه دون ان يقدموا لهم مساعدات جدية (ابن الأثير، ج٩، ٢٠٠٠، ص. ٤٨٧ ؛ ينظر: إسكندر، ١٩٨٣، ص.٥٥)،وفي الصدد نفسه ورد ذكر مدينة ترليس التي تقع أقصى الساحل الشمالي وعرفت باسم" أيا سلوق "سميت كذلك لوجود كنيسة كبيرة فيها ترجع للقديس يوحنا اللاهوتي ، وقد زارها ابن بطوطة وصفها بقوله: "مدينة عامرة بنيت من الحجارة الضخمة طول الحجر منها عشر أذرع ، منحوتة أبدع نحت، والمسجد الجامع بهذه المدينة من ابدع مساحة الدنيا لا نضير له في الحسن وكانت كنيسة الروم، فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجداً جامعاً، وحيطانه من الرخام الملون، وفيه احدى عشر قبة متنوعة"(ابن بطوطة ، ج٢ ، ١٩٨٣، ص٢٦٥)

ثانياً/ الدافع الاجتماعي :

كان للدافع الاجتماعي دور كبير في دراسة الاستغراب عند مؤرخي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حفزت المسلمين في كتاباتهم ، إذ ارتكز كل من علمي التاريخ والاجتماع على دراسة طبيعة الإنسان والمجتمع والأثر المتبادل بينهما وأهمية هذا الأثر في اختلاف المجتمعات عن بعضها البعض لاسيما في إطار اختلاف العقائد ، والأفكار والتقاليد بينها وبين مجتمع الغرب(سليمان، ١٩٨٣،ص١١)

إن ما ورد في الدراسات الأكاديمية إشارة إلى المفاهيم الاجتماعية وإن اختلاف الطبائع والتقاليد الاجتماعية بين البلاد الإسلامية من جهة ،وبين بلاد الغرب أنفسهم من جهة أخرى قد دفع العديد من المؤرخين المسلمين للاهتمام برصد هذه الاختلافات والبحث عن نماذج تطبيقية تتيح لهؤلاء المؤرخين متابعة الغرب ضمن هذا الجانب وتمكنهم من فهم هذه الأوضاع الاجتماعية ضمن هذا الدافع تطبيقاً لمفهوم الاستغراب، (حسب الله ،٢٠١٧ ، ص٥٢)

وقد دفع هذا التفاعل مؤرخي القرن السابع الهجري إلى رصد أحوال المجتمعات الغربية ، وما تمتاز به من عادات وانماط ، إذ إن الباعث الاجتماعي من وراء ذلك يتمثل بالرغبة الجامحة في فهم البنية الاجتماعية للغرب الآخر (حسب الله ،٢٠١٧،ص٥٢)

وجاءت دراسة ابن الأثير أن من عادة ملوك الروم ان يركبوا ايام الأعياد إلى البيعة المخصوصة لذلك العيد ، فإذا اجتاز الملك بالأسواق شاهده الناس وبأيديهم المداخن يبخرون فيها مركب الملك قسطنطين (ابن الاثير،الكامل، ٢٠٠٠، ج٩، ص ٤٩٧)

ثالثاً/ الدافع الاقتصادي:

أما الدافع الاقتصادي فمن ابرز الدوافع التي اسهمت في ازدهار مدن الغرب في العصور الوسطى من أهمها "البيزة" ،شكل موقعها الجغرافي المطل على الركن الشمالي من إيطاليا مقابل جزيرة سردانية التي تقع غربي بلاد رومية، ومدينة بيزة واحدة من المدن المطلة على "البحر التيراني" شكلت بدورها حلقة وصل تجارية بين البلدان الغربية ،وبلاد المشرق الاسلامي هذا من جهة، وربطها بموانئ البحر المتوسط من جهة اخرى (الحموي،١٩٩٣، ج١، ص٤٣٥)

الأمر الذي ساعد كثيراً على التبادل التجاري مع بلدان المشرق مما ساعد هذا كثيراً في ازدهار ها الاقتصادي، فضلاً عن ذلك اشتهرت مدينة بيزة بتجارة "الحديد البيزاني" نظراً لوقوعها على البحر الرومي كما يقابلها من جهة البر "بحر الخرز ساعد كثيراً في توفير المواد الاولية ، الأمر الذي جعل "بيزة" واحدة من اشهر مراكز البحر المتوسط التجارية عالميّاً ، ومن المعروف ان المدينة اصبحت من المراكز التجارية متصلة مع بلدان المشرق الإسلامي في استيراد وتصدير السلع والبضائع الغربية واهمها التوابل، والحرير، والأحجار الكريمة ،والأكسية الحريرية، والصوف، والكتان وغيرها (القلقشندي، ٢٠٠٦، ج٥، ص. ٣٨١)

وأما طرابزون فهي على ما جاء عند ابن حوقل اجل ميناء كانت تجلب إليها السلع من القسطنطينية في العصور الوسطى وتحمل إلى بلاد المسلمين ،فكان التجار العرب ووكلاؤهم ينقلون السلع عبر الجبال الى ملطية وكانت هذه التجارة بيد الأرمن واخص هذه السلع ثياب الكتان اليوناني، وثياب الصوف والديباج ،والأكسية الرومية وكلها كان يجلب بحراً ومما يدل على شهرة المدينة وعظم شأنها في ذلك الزمن

(ابن حوقل، ١٩٩٢، ص.٤٠١)

واشار القلقشندي في أثناء حديثه إلى "بلاد التسقان"، واصفاً إياها بانها من الأقاليم الإيطالية المتقدمة اقتصاديّا في العصور الوسطى ، نتيجة ما تمتعت به من موقع جغرافي ولوقوعها على الساحل الغربي للجزر الإيطالية ، ومن اهم مدنها التجارية، سينا، وفلورنسا ، واشار ان جل سكانها من جنس الإفرنج ليس لهم ملك يحكم بلادهم بل لهم اعيان يحكمونهم و يقال نجحت في بلادهم زراعة نبات الزعفران باعتباره مصدرا غذائيا كما عرفت البلاد بالخصب وكثرة المراعي، (القلقشندي، ج٥ ، ٢٠٠٦، ص.٣٨٦)

وفي الصدد نفسه وردت بعض الاشارات " بلاد التسقان من اشهر المدن الإيطالية التي ساهمت بتعزيز نشاطها التجاري في موانئ البحر المتوسط ،وساعدت بتعزيز علاقاتها التجارية بين بلدان المشرق الإسلامي ، واوربا من خلال الوسيط التجاري المتمثل بموانئ البحر المتوسط (ابن الأثير، ج١٠، ٢٠٠٠، ص.٢٩٠)

و ورد بهذا الشأن ذكر ملك الروم والمعروف "بملك الأكسير "، والروم كلهم نصارى ملكانية (الهمذاني ، ص١٨٣) ،يقرؤون الإنجيل بالجرمقانية هم أهل صناعات ،وحكم ، وطب ،أنهم أحذق الأمم بالتصاوير، وفي رواية القلقشندي اشار :عندما توادع قباذ وقيصر ملك الروم أهدى إليه هدايا كثيرة ، من جملتها أهدى إليه تمثال جارية من ذهب، وفسطاط عظيم من كيمخار، وسفط جوهر(القلقشندي، ٢٠٠٦، ج٤، ص.٤٦٤)

رابعاً/ الدافع العسكري:

ومما لاشك فيه أن وجود الغرب المسيحي في شرقنا الإسلامي لم يكن محط صدفة ، إنما بدأ بالوجود العسكري وتبعه الأستشراق متمثلاً بالوجود المعنوي ثم بدأت بوادر نشر فكرة فصل الدين عن الدولة ومن ثم التخطيط للزحف على بلدان الخلافة الإسلامية ، وفي سنة ستمائة وخمس وثمانين حشدت الإفرنج من جزائر البحر وهم اهل قسطنطينية، ورومية، وجنوة، والبندقية، وأقريطش وقامت قيامتهم على ذهاب القدس منهم وتجمعوا بعددهم، وجيوشهم لحرب المسلمين وقامت الافرنج بعكا، واشتبك الطرفان وقتل من المسلمين خلائق كثيرة (ابو شامة، ١٩٨٧ ، ٢ج، ص.١٢٦)

بناءً على ما تقدم أن الروس من الأمم الأسلافية الشمالية يسعون لأجل التوسع في مياه البحر الأسود لغرض الوصول إلى موانئ قسطنطينية التجارية للهيمنة على الموانئ البحرية ومواردها المتنوعة (ابن الأثير، ج٧، ص. ٤٠)

وقد اتصل الروس بقسطنطين ملك الروم بدافع عسكري وتقديم المساعدة له واجتمعت الروم على حرب بلاد القسطنطينية وكان بعضهم قد فارق المراكب الى البر فالقى الروم في مراكبهم النار، فلم يهتدوا الى اطفائها فهلك كثير منهم بالحرق والغرق واما الذين على جانب البر فقاتلوا وأبلوا وصبروا ثم تقهقروا، لم يكن لهم ملجأ ، فمن استسلم اولاً استرق ثم أسلم ، ومنهم من امتنع حتى اخذ قهراً وقطع الروم ايمانهم وطيف بهم في البلد ولم يسلم منهم الا اليسير وكفى الروم شرهم ،(القلقشندي، ج٤، ص.٤٦٤)، والغريب أنه في الوقت ذاته، منح البلاط الإمبراطوري ثيودور شرف القيادة العامة للجيوش الأرمنية وكان هذا بيزنطة ، من ذلك هو تأليب ال رشتوني ،وال بجراط اضعافاً للاتين ،وحفاظاً على سيادتها في ارمينية ،فتناسى العاهل البيزنطي موقع ارمينه الاستراتيجي وأهميتها بوصفها دولة حاجزة (اسكندر، ١٩٨٣، ص٥٦.) كما نجح المسلمون في بسط نفوذهم على شمال أرمينية فقد اخضعوا "بلاد الألبان"، وإقليم سيوني، وحمل المسلمون غنائم طائلة في فتوحاتهم هذه الى دمشق واصطحبوا معهم العاهل البيزنطي الذي مكث وعائلته بدمشق حتى وفاته (اسكندر، ١٩٨٣، ص٦٣.)

الخاتمة :

تبين من دراسة الاستغراب في كتابات مؤرخي القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي انهم تطرقوا في كتاباتهم لدراسة بلاد الغرب من جوانب متنوعة جاءت في وصف بعض بلدان الغرب من الناحية الجغرافية ابتداءً من سواحلها التي شملت موانئ طبيعية، ومواقع جغرافية نظراً لقربها من بلدان المشرق، الأمر الذي ساعد على الاتصال الحضاري مع الغرب في تطور العلاقات التجارية لاسيما عبر موانئ البحر المتوسط باعتباره يشكل حلقة وصل مهمة بين بلاد الشرق ،والغرب، وقد جاءت الدوافع التي شجعت مؤرخي القرن السابع الهجري لدراسة الآخر والسبب من وراء ذلك هو نتيجة الاحتكاك الإسلامي مع بلدان الأفرنجة أبان حروبها الطويلة ولاستمرار في صراعاتها للسيطرة على مناطق نفوذ البحر المتوسط ، أما الدوافع الاقتصادية فقد اهتمت بدراسة أبرز الطرق التجارية ، والموانئ البحرية ،والأسواق الأوربية التي ارتبطت ارتباط مباشر ببلدان المشرق عبر البحار، والخلجان، اما الدافع الديني فقد أدى دوراً مهمّاً لدراسة علاقة الغرب بالشرق وكانت بداية الاتصال الحروب الصليبية، والاحتكاك المباشر بين النصارى والمسلمين مما شجع المؤرخين لفهم الآخر من منظور ديني، وبيان الاختلاف الكبير بين العقيدة المسيحية، والإسلام

وقد شكلت الدوافع العسكرية عاملاً مركزيّاً في توجيه القرارات من طريق السعي الحثيث إلى تعزيز القدرة لفرض الهيمنة على بلاد المشرق الإسلامي كما هو الحال عندما حشد الإفرنج الحشود الكثيرة من بلدان الغرب متمثلة الأسلاف، والمبارد وجنوة ، للزحف نحو بلاد القدس للسيطرة عليها، وفي المقابل نجح المسلمون في بسط سيطرتهم على أجزاء واسعة من بلدان الغرب إزاء

الفتوحات الإسلامية وإخضاع الممالك لسلطانهم، وتأمين خطوطهم لغرض الاتصال بمصالح الاقتصادية وعدم المساس بها من الأطراف الأخرى.

أولا- المصـــادر:

١- ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الشيباني (ت٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، الأجزاء ٣,٧، ١٠,٩، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي،ط٢،(بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١٥هـ/١٩٩٥م).

٢- البخاري ،الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم،(ت٢٥٦هـ) ،صحيح البخاري،المجلد٣،(مركز البحوث والدراسات، دار التأصيل،٢٠١٢م).

٣- ابن بطوطة، ابو عبدالله محمد (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧) ،رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار، وعجائب الأسفار ،الطبعة الاولى،(القاهرة، مطبعة السعادة، ١٩٠٨م).

٤-الهمذاني رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ) جامع التواريخ تاريخ خلفاء جنكيز خان، ٣جزاء ،نقله الى العربية محمد صادق نشأت واخرون، (الناشر الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة والإرشاد القومي الإدارة العامة للثقافة،١٩٦٠).

٥-ابن حنبل، الإمام احمد(ت ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، الجزء الأول (بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ت).

٦-ابن حوقل ، ابي القاسم (ت٣٦٧هـ/٩٧٧م)، كتاب صورة الارض ،(بيروت، دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٩).

٧-ابن أبي الحديد ، عز الدين عبد الحميد المدائني (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،(بيروت، دار الجيل ، ١٩٨٧م.

٨-ابن خلكان ، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ،(بيروت، دار صادر، ١٩٧٠م) .

٩- الرضي، الشريف(ت ٤٠٦هـ)، نهج البلاغة، طبعة النجف الاشرف،١٩٦٧م)

١٠-الزمخشري(ت٥٤٣هـ) ابو القاسم محمود بن عمر، الفايق في غريب الحديث،ط١،(بيروت، دار الكتب العلمية،١٤١٧هـ/١٩٩٦م).

١١-ابو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل، الروضتين في اخبار الدولتين / النورية والصلاحية، ج٢، (بيروت، دار الجيل،١٩٨٧).

١٢- القرطبي، ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري ،الجامع لأحكام القرآن ،تحقيق احمد البردوني،ج١٤،،ط٢،(القاهرة، دار الكتب المصرية).

١٣- القلقشندي، شهاب الدين أبو العباس أحمد، (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) ،الأجزاء،١ ،٣، ٤، ٥، صبح الأعشى في صناعة الانشا، (القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩١٨م).

١٤-ابن العديم، كمال الدين عمر بن احمد(ت٦٦٠هـ/١٢٦١)، زبدة الحلب من تاريخ حلب،دمشق،١٩٥١) .

١٥- ابن العبري ، غريغوريوس ابي الفرج بن أهرون الطبيب الملطي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ مختصر الدول ، تصحيح: الاب انطوان صالحاني اليسوعي ،(بيروت، دار الرائد: ١٩٨٣).

١٦- ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨)،معجم البلدان، دار صادر، (بيروت، دار صادر- ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

ثانيا/ المراجع :

١٧-الأمين، حسن، دائرة المعارف الإسلامية الكبرى،ج٦،ط٦، (بيروت، دار التعارف للمطبوعات ،٢٠٠٢م) .

١٨- اسكندر ،فائز نجيب، الفتوحات الإسلامية في أرمينية،ج١،مجلة الآداب، الاسكندرية، ١٩٨٣)

١٩- السيد، أديب، ارمينية في التاريخ العربي،ط١، ١٩٧٢.(د.مك،ط).

٢٠- اسمايلوفتش، أحمد، فلسفة الأستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر،ط٢،(القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م)

٢١- حنفي، حسن، مقدمة في علم الأستغراب،(الدار الفنية، ١٩٩١م)

٢٢- لسترانج ، كي، بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مطبعة الرابطة ، بغداد ، ١٩٥٤م .

ثالثاً/ البحوث العلمية :

٢٣- علوان، محمد حسب الله القريشي، جذور الأستغراب في كتابات المؤرخين العرب والمسلمين (١٣٢-٦٥٦هـ/ ٧٥٠-١٢٥٨م)،أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي/ جامعة واسط/ قسم التاريخ. https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss25.1073

٢٤- مصطاف، ثامر نعمان ،العزاوي، احمد عبد الكريم، أقانوري، علي، النظم الإدارية في فكر الإمام علي (عليه السلام) بين الأصالة والحداثة دراسة مقارنة، مجلة لا رك، كلية الآداب /جامعة واسط ،العدد ١٧، لسنة ٢٠٢٥، https://doi.org/10.31185/lark.4326

First – Primary Sources:

-١Ibn al-Athir, Abu al-Hasan Izz al-Din Ali ibn Muhammad al-Shaybani (d. 630 AH/1232 CE), Al-Kamil fi al-Tarikh (The Complete History), Volumes 3, 7, 9, and 10, edited by Abu al-Fida Abdullah al-Qadi, 2nd edition (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1415 AH/1995 CE.(

-٢Al-Bukhari, Imam Abu Abdullah Muhammad ibn Ismail ibn Ibrahim (d. 256 AH), Sahih al-Bukhari, Volume 3 (Center for Research and Studies, Dar al-Ta’sil, 2012 CE.(

-٣Ibn Battuta (d. 779 AH/1377 CE), Abu Abdullah Muhammad ibn Abd, The Travels of Ibn Battuta, entitled Tuhfat al-Nuzzar fi Ghara’ib al-Amsar wa ‘Aja’ib al-Asfar (A Gift to Those Who Contemplate the Wonders of Cities and the Marvels of Travel), 1st edition (Cairo: Matba’at al-Sa’ada, 1908 CE). 4- Al-Hamadhani, Rashid al-Din Fadl Allah (d. 718 AH), Jami' al-Tawarikh: A History of the Caliphs of Genghis Khan, 3 volumes, translated into Arabic by Muhammad Sadiq Nash'at and others (Publisher: United Arab Republic, Ministry of Culture and National Guidance, General Directorate of Culture, 1960.(

-٥Ibn Hanbal, Imam Ahmad (d. 241 AH), Musnad al-Imam Ahmad ibn Hanbal, edited by Shu'ayb al-Arna'ut, Volume 1 (Beirut: Al-Risalah Foundation, n.d.(.

-٦Ibn Hawqal, Abu al-Qasim (d. 367 AH/977 CE), Kitab Surat al-Ard (The Book of the Image of the Earth) (Beirut: Dar Maktabat al-Hayat, 1979.(

-٧Ibn Abi al-Hadid, Izz al-Din Abd al-Hamid al-Madaini (d. 656 AH/1258 CE), Sharh Nahj al-Balaghah, edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim (Beirut: Dar al-Jil, 1987 CE.(

-٨Ibn Khallikan, Abu al-Abbas Shams al-Din Ahmad ibn Muhammad ibn Abi Bakr (d. 681 AH/1282 CE), Wafayat al-A'yan wa Anba' Abna' al-Zaman, edited by Ihsan Abbas (Beirut: Dar Sader, 1970 CE.(

-٩Al-Zamakhshari (d. 543 AH), Abu al-Qasim Mahmud ibn Umar, Al-Faiq fi Gharib al-Hadith, 1st ed. (Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1417 AH/1996 CE.(

-١٠Abu Shama, Abd al-Rahman ibn Ismail, Al-Rawdatayn fi Akhbar al-Dawlatayn / al-Nuriyyah wa al-Salahiyyah, vol. 2 (Beirut: Dar al-Jil, 1987.(

-١١Al-Qurtubi, Abu Abd Allah Muhammad ibn Ahmad al-Ansari Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an, edited by Ahmad al-Bardouni, vol. 14, 2nd ed. (Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyyah.(

-١٢Al-Qalqashandi, Shihab al-Din Abu al-'Abbas Ahmad (d. 821 AH/1418 CE), parts 1, 3, 4, and 5, Subh al-A'sha fi Sina'at al-Insha (Cairo: Al-Matba'ah al-Amiriyyah, 1918 CE.(

-١٣Ibn al-'Adim, Kamal al-Din 'Umar ibn Ahmad (d. 660 AH/1261 CE), Zubdat al-Halab min Tarikh Halab (Damascus, 1951 CE.(

-١٤Ibn al-'Ibri, Gregory Abu al-Faraj ibn Ahron al-Tabib al-Malati (d. 685 AH/1286 CE), Mukhtasar Tarikh al-Duwal, edited by Father Antoine Salhani, SJ (Beirut: Dar al-Ra'id, 1983.(

-١٥Yaqut al-Hamawi, Shihab al-Din ibn Abdullah al-Rumi (d. 626 AH/1228 CE), Mu'jam al-Buldan (Dictionary of Countries), Dar Sader, (Beirut: Dar Sader, 1397 AH/1977 CE.(

Secondly/Arabic References:

-١٦Al-Amin, Hassan, Da'irat al-Ma'arif al-Islamiyya al-Kubra (The Great Islamic Encyclopedia), vol. 6, 6th ed. (Beirut: Dar al-Ta'aruf for Publications, 2002 CE.(

-١٧Iskandar, Fa'iz Najib, Al-Futuh al-Islamiyya fi Armeniya (Islamic Conquests in Armenia), vol. 1, Majallat al-Adab (Literature Magazine), Alexandria, 1983.

-١٨Al-Sayyid, Adib, Armeniya fi al-Tarikh al-Arabi (Armenia in Arab History), 1st ed., 1972. (Place of publication not identified). 19. Ismailovic, Ahmed, The Philosophy of Orientalism and its Impact on Contemporary Arabic Literature, 2nd ed. (Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi, 1418 AH/1998 CE(

.٢٠Hanafi, Hassan, An Introduction to the Science of Occidentalism (Al-Dar al-Fanniya, 1991 CE(

.٢١Lestrange, Key, The Countries of the Eastern Caliphate, translated into Arabic by Bashir Francis and Korkis Awad, Al-Rabita Press, Baghdad, 1954 CE.

.٢٢Alwan, Muhammad Hasaballah al-Qurashi, The Roots of Occidentalism in the Writings of Arab and Muslim Historians (132-656 AH/750-1258 CE), PhD dissertation in Islamic History, University of Wasit, Department of History. https://doi.org/10.31185/lark.Vol2.Iss25.1073

-٢٣Mustafa, Thamer Numan, Al-Azzawi, Ahmed Abdul Karim, Aqanuri, Ali, Administrative Systems in the Thought of Imam Ali (peace be upon him): Between Authenticity and Modernity - A Comparative Study, Lark Journal, College of Arts / University of Wasit, Issue 17, 2025, https://doi.org/10.31185/lark.4326